

صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية - أغاني (أبو عرب) نموذجاً

أ. حسين عمر دراوشة

باحث في علوم العربية وآدابها، ومحاضر في قسم اللغة العربية، بجامعة غزة

hussien2013333@hotmail.com:المبراق

ملخص البحث: أنتج الإبداع الفلسطيني موروثاً فنياً وغنائياً معبراً عن وجدان الشعب ومواقفه الإنسانية الخالدة، وبرزت مكانة هذا الفن والإبداع في ظل وجود ساحة صراع وتحدي ثقافي على مختلف الأوجه وعلى الأطر كافة، ونبع في هذا المضمار المبدع الكبير (أبو عرب)، فأنتج إبداعاً يستحق الدراسة والبحث والتحليل، ولما كانت القدس جوهرة القضية، جاء هذا البحث لبيان صورتها في الأغنية الشعبية الفلسطينية، من خلال اتخاذ نماذج من أغاني (أبو عرب)، والحديث عن المضامين المتعلقة بقضية القدس وموضوعاتها، ومن ثم الكشف عن معالم لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ومدلولاتها في أغاني (أبو عرب) من خلال إجراء مقاربات تحليلية، وبيان كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته وفهرس للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (صورة القدس، الأغاني الشعبية، فلسطين والأغنية، أغاني "أبو عرب").

The image of Jerusalem in the popular Palestinian song - songs (Abu Arab) model

Abstract: The Palestinian creativity produced artistic and musical heritage, expressing the people's timidity and timeless human attitudes, and the status of this art and creativity emerged in the presence of a cultural arena of struggle and challenge in all aspects and on all frameworks. It came out in this great creative field (Abu Arab) Research and analysis, and since Jerusalem is the jewel of the case, this research came to build its image in the popular Palestinian song, by taking samples from the songs of (Abu Arab), and talk about the contents related to the issue of Jerusalem and its subjects, and then reveal the features of the language of the speech in the Jerusalem issue and its implications In songs (Bo Arabs) by conducting analytical approaches, and the statement of all the above descriptive and analytical approach, and then the conclusion and the search results and recommendations and index of sources and references.

Keywords: (Jerusalem Photo, Folk Songs, Palestine and Song, Songs by "Abu Arab").

المقدمة:

تمثل الأغنية الشعبية الفلسطينية وسيلة تعبيرية، تنقل المشاعر والأحاسيس التي يمتلكها الفنان البارح الذي يجسد الحالة الشعبية العامة لأبناء الشعب الفلسطيني، وتعد الأغنية الشعبية رافداً من روافد الأدب الشعبي فهي فطرية المنشأ لا أثر فيها لصنعة معتمدة (إسماعيل، 2008: 161)، وتعد القدس في الحس الجمعي الفلسطيني العام وقواعده الجماهيرية من الثوابت الوطنية، وتتمتع بمكانة دينية وروحية في ثقافة المجتمع وأيدلوجياته؛ لذا يسعى هذا البحث إلى بيان صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية من خلال اتخاذ نماذج من أغاني إبراهيم محمد صالح المعروف بـ(أبو عرب)، ولد سنة 1931م في قرية الشجرة بين مدينتي الناصرة وطبريا، هو شاعر ومنشد الثورة الفلسطينية الكبرى، عانى من ويلات التهجير القصري عام 1948م، فلجأ إلى قرية كفر كنا، ومن ثم نرح إلى قرية عرابة البطوف، وبعد ذلك للبنان ومن ثم إلى سوريا وتونس ومخيمات الشتات في العالم، أسس فرقة الأولى عام 1980 في الأردن، سماها بـ"فرقة فلسطين للتراث الشعبي"، ثم غيرها باسم "فرقة ناجي العلي"، ألف ولحن حوالي 300 أغنية وقصيدة عبر مسيرته الفنية، توفي في مدينة حمص السورية بتاريخ 2 مارس عام 2014م بعد صراع مع المرض (أبو عرب، ويكيبيديا، نت)، فيعد (أبو عرب) شاعر الثورة الفلسطينية وأحد رموزها.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي، القائم على اتخاذ نماذج من الأغاني المقدسية عند أبي عرب، والعمل على وصفها وتحليلها ومعالجتها بمنهجية علمية.

أهداف البحث: استجلاء معالم صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية، وإثراء التجربة الغنائية الوطنية الفلسطينية، والكشف عن معالمها، وإضافة دراسة جادة وجديدة لمكتبة الفن والتراث الفلسطيني.

أهمية البحث: الكشف عن صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية ونبراتها خطابها التفاعلي، بيان الرؤية الفنية والإبداعية في الأغنية الفلسطينية، ومكانة القدس في الوجدان الشعبي والشعور الجمعي، طرح إشارات وتحليلات تتصل بصورة أو بأخرى بالأغنية الشعبية الفلسطينية من خلال أغاني (أبو عرب) للقدس؛ ليستفيد منها أهل الاختصاص والجهات ذات العلاقة.

الدراسات السابقة للبحث: إن المطلع إلى الكتب والدراسات والأبحاث يجد أن أبناء فلسطين، أولوا جانباً من الرعاية لتراثهم الشعبي، وبذلوا جهوداً من أفراد ومؤسسات - تذكر فنتشكر-، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر:- (عبد اللطيف البرغوثي، عبد العزيز أبو هدبا، يحيى جبر، إدريس جرادات، شريف كناعنة، سليم المبيض، حسين لوباني... وغيرهم)، ولكن جهودهم بحاجة إلى مزيد من التعمق والتحليل والبحث والدراسة، ولم أقف على دراسة بينت صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية عند الفنان والأديب (أبو عرب).

محاور البحث: يسعى البحث إلى تسليط الضوء على المحاور الآتية:

المحور الأول: المضامين المتعلقة بالقدس في أغاني (أبو عرب)- دراسة موضوعية.

المحور الآخر: لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب)- مقاربات تحليلية.

هذا ما أراد البحث أن يوضحه ويتحدث عنه، وحسبي أنه استوفى موضوعه، وأود الإشارة إلى أن البحث احتكم لنصوص الأغاني المقدسية عند أبي عرب؛ لأنها تتميز بالعمق واللغة القصديّة المفهومة، فكانت الكتابة تفسيراً وتوضيحاً لصورة القدس من ناحية المضمون والشكل، ومحاولة علمنتها من وجهة نظر أهل اللغة وأرباب النقد، ولسنا في مجال الإطراء والتمجيد، وأشكر القائمين على المؤتمر وموجهي الدعوات للمشاركة لحضور هذه التظاهرة العلمية الجادة، وأسأل الله السداد في القول والتوفيق في العمل.

المبحث الأول: المضامين المتعلقة بالقدس في أغاني (أبو عرب)- دراسة موضوعية.

يجسد الأدب الشعبي خلجات الشعوب النفيسة واهتماماتهم الروحية (إبراهيم، د.ت: 3)، ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية (نصار، 1980: 16)، واللغة الشاعرة تحمل في ثنايا طياتها مضامين شعورية وموضوعات شعرية (دراوشة، 2017: 97)، ونجد أن أبا عرب أبدع في حياكة النص الغنائي المتعلق بالقدس من خلال بناء تراكيبه وانتقاء عباراته وسبك معانيه بروح ثورية، فهو يكتب الموت بروح الحياة الوثابة التي تكتنز كل الحب والوفاء لمدينة القدس وما تتمتع به من مكانة دينية في الضمير الشعبي لأبناء فلسطين، لقد استطاعت الأغنية الشعبية بما تحمل من مضامين التعبير الصادق والدقيق عن المشاعر الشعبية آملاً وآلاماً، وعن الماضي العريق

الضائع(برزاوي، د.ت: 101)، فنجد أن المضامين المتعلقة بالقدس في غنائه تدور حول موضوعات تتمثل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: حب القدس وتغلغلها في الوجدان الجماهيري.

جعل الشاعر يتمنى أن تكون نهايته في القدس وأن يدفنَ فيها، حتى الموت لا يُنسي أبي عرب المكانة السامقة التي تتمتع بها القدس في نفسه، فيقول وهو يشدو على أنغام الحياة وعلى وتر الموت في ثنائية ثورية متمردة(يعاقبه، 2013: 12):

لا تـدـفـنـونـي لا تـدـفـنـونـي
إِلا بُرِّيَ فـلـسـطـيـنُ لا تـدـفـنـونـي
بُ فَيَّةُ زَيْتُونِي بُ فَيَّةُ زَيْتُونِي
بُ مَسْرَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ، بُ فَيَّةُ زَيْتُونِي
الغربة والحنين ممزوج بنكهة القدس، عزف أبو عرب على قيثارة ألم الغربة من شدة المحن وشوقه وحنينه الذي ألهب أضلعه، ونلمس ذلك من خلال انتقاء للتركيب المكررة(لا تدفنوني) و(فِيَّةُ زيتوني)، ولعلنا نشتم من ذلك روح الرفض والتمرد على المحتل والتمسك بثرى فلسطين.

الامتزاج بالأرض حباً وتعلقاً بها، والهيام بها، يجسد مكانة القدس في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، وهذا الحب منبثق عن قناعة تامة بأن القدس إسلامية الهوية وعربية الأصل، وقال في أغنية له "ما بنام الليل كله"(يعاقبه، 2013: 76):

صوت الأقصى يا بلادي
من صوتي الجريح
دمعة مريم على قدسي
على مهد المسيح
بدي ردد في سلاحي
بدي أنادي وصيح
روحي ودمي يا بلادي
ل ترابك مرهون
لعل صوت الصراخ في جوف الليل، يبين حالة الهم الذي ينتاب الشاعر وأبناء شعبه، في حمل هموم قضيتهم، والتضحية والفداء بالروح والدم من أجل حرية المسرى من أيدي الطغاة الغاصبين.

المطلب الثاني: مكانة القدس بين المدن.

ارتبطت القدس بذكر المدن التاريخية في فلسطين، وكأنها القلب النابض لها، فهي شريان حياة، يضح أعلى ما يملك إلى أرجاء فلسطين كافةً، فقال في موال عتاباً له بعنوان: "ع الفدائيه ع الفدائيه" (يعاقبه، 2013: 42):

سلم ع (حيفا) وعلى (الجايل) سلم ع (دورا) و(قدس الخليل)

المطلب الثالث: الحنين والشوق لأرض القدس.

حنين الوطن في الغربة لا يقاوم، فكيف بالشعب الذي شرد عن أرضه قسراً أمام مرأى ملايين من بني البشر، وتحت وطأة القتل والتدمير وسفك الدماء، فانبرى شاعرنا عازفاً في غناءه على ذكر القدس، وقال في موال عتاب بعنوان: "ليا وليا (يعاقبه، 2013: 57):

الليالي تعيد ماضيها (ونا بعيد) م بنسى القدس عن داري (ونا بعيد)

الناس بعيد وبفرحا (ونا بعيد) البطولة وعهد ل قدس العرب

المطلب الرابع: الثورة من أجل تحرير القدس من الطغاة الظالمين.

امتشاق السلاح والإيمان بالعقيدة الثورية المبنية على قيم نضالية وكفاحية، غرسها جيل الثورة الأول، فيقول أبو عرب في أغنيته "بسم الأقصى والمرتين" (يعاقبه، 2013: 62):

بسم الأقصى والمرتين ل حلف ل بلادي يمين

ل عمل عظامي جسر تا يعبروا الثوار ويحرروا قدسنا وترجع أهاليها

يا هـلا بك يا هـلا

لا بالرجـا ولا ب وعـود ل بتبـويس الأيـادي

يرجع لي حقي المشهود ويرجع حقي ب بلادي

عمرو حقي ما بيعود إلا وإيـدي ع زـنـادي

وتخطي سلاك ل حدود بعزم وقوة وإرادي

شعبي بالداخل موجود بشعل نار الوقادي

رد الدبابــــــــــــــــة بزــــــــــــــــنــــــــــــــــود ب روح ودم وب فــادي
صمودك شعبي أحلى صمود وسند ظهري ب زيــــــــــــــــادي
أرضي انفجرت كالبــــــــــــــــارود وتحوت الغاصب بــــــــــــــــراكين

إن (المرتين) نوع من البنادق، نلحظ من النص مدى عمق الحس الثوري عند أبي عرب، فهو يجسد حيوية القدس في الشعور والوجدان، ومدى ارتباط أبناء الشعب الفلسطيني بها، وتمسكهم بقضيتها واعتبارها على سلم أولوياتهم ومن أولى الثوابت الوطنية التي يتمسكون بها رغم توالي المحن، فلا تقريظ ولا تنازل، فيجعل الشاعر جسده معبراً ليتنقل الثوار من خلاله للقدس لتحريرها من الطغاة الغاصبين، وكنس المحتل وطرده عن سائر ثرى فلسطين الحبيبة.

وحث المقاتلين الأبطال والثوار الأحرار على التمسك بنهج الثورة والسير على طريق السليم، فلا يقل الحديد إلا الحديد، فأبواق الإعلام وتصريحاته ووعوده لن تجدي نفعاً فالأقصى يأن ويستصرخ الأحرار، فقال في أغنية "طير الحر" (يعاقبه، 2013: 98):

ي مقاتل بــــــــــــــــدي وصــــــــــــــــيك وخلي إيــــــــــــــــدك عالبــــــــــــــــاروده
غير القوة ما فيه ليك تترجــــــــــــــــع أرض جــــــــــــــــودودي
إيــــــــــــــــاك الغاصب يغريــــــــــــــــك وعود الغاصب مــــــــــــــــردوده
صوت الأقصى بيناديــــــــــــــــك ورجعلي حقيــــــــــــــــ ليــــــــــــــــي

التضحية والفداء من أجل القدس، بأعلى ما يملكون، فالاضمحلال والذوبان والفناء من أجل القدس، هو طبيعة العطاء الأزلي الذي يقدمه الشعب الفلسطيني وأبنائه، فكم قدم الشعب الفلسطيني من الشهداء والجرحى والأسرى لقضية القدس وترباها الطاهر، وقال في أغنية "ي ما سرينا ب صبح" موجهة لأبطال عملية الزوارق (يعاقبه، 2013: 103):

يما سرينا بصبح ونهار كله غروب نسبح ببحر الدما تتحقق المطلوب
نحمل حنين الأهل للتين للخروب نحمل رفات الطفل في خيمتو مضروب
نحمل جراحات عيسى وشعبنا المصلوب كرمال عز الوطن وكرمال ديرتنا

كرمال عز القدس منال قلوب تذوب

إن تمجيد العمل الفدائي ينبع من مكانة الفدائيين والثوار الحقيقيين عند الشعب الفلسطيني، وأبنائه الأحرار، فهو لا ينتظرون شكراً من أحد يقومون بواجبهم في الذود عن حياض قدسهم رمز كيانه، ويفدونها بالروح والنفس والمال، فأبطال عملية الزورق المشتركة جسدت نمو الحس القومي لأبناء فلسطين والعروبة .

وتمجيد البطولة وفعالها، وذكر الثوار والأحرار، وربط نكرهم بقضية القدس المركزية التي تجسد نبزاً يهتدي به أبناء الأمة وفلسطين، فقال مخاطباً أبطال عملية (نهاري) (يعاقبه، 2013: 104):

يا قاصدين الوطن صوتي يناديكم روحي معاكم سرت قصدي أباريكم
نلتو الشهادة بشرف الله يهنئكم والقدس فيكو ازدهت باهت أمم فيكم
ون كان شعري م بيوفي رثا الأحرار بالنار بالدم بالبارود لـرثيكم
المطلب الخامس: نصره القدس واستنهاض الهمم.

الاستجابة للقدس ومتطلباتها والتعاطف مع الروح والنفس والجسد، وهذا يكشف لنا مدى العمق القداسي والمكانة السامقة التي تتمتع بها القدس في الوجدان الشعبي والعقلية الجمعية لأبناء الشعب الفلسطيني، الذين ما فتئوا يبرهنون للعالم أجمع أنهم أصحاب حق، وهم على أهبة الاستعداد والتضحية والفداء من أجل ثرى القدس والأرض المباركة، فقال في حداء له بعنوان: "حيا يا أرض الوطن" (يعاقبه، 2013: 66):

حياك يا أرض الوطن حياي ربك فلسطين
يا حلالي ويا مالي
لبيك يا أرض القدس ل لموت إحنا جاهزين
يا حلالي ويا مالي
وقال في نفس الحداء:

قدس العرب عند الطلب لمشبي ع درب الثائرين
يا حلالي ويا مالي

استنهاض الهم وإثارة القواعد الجماهيرية والشرفاء والأحرار، للذود عن حياض القدس،
ومساندتها في ظل التغول الصهيوني والعدوان الغاشم، وقال في أغنيته " النار هبت ب
الوطن" (يعاقبه، 2013: 75):

النار هبت بالوطن والقدس تسأل حالها
وين النشامى يا هلى عـز الأرض برجالها
هيه هيه أرض الجودود هيه هيه هيه بكرى نعود

المطلب السادس: المكانة الدينية والتاريخية والقومية والسياسية للقدس.

القدس مهبط الأنبياء، ومهد الديانات السماوية، تمتاز بالتسامح الديني رغم تعدد الثقافات،
وتنتشر في أرجائها المحبة وفي آفاقها السلام، إلا أن الطغاة المستعمرين دنسوها بخبث نواياهم
وشنيع أفعالهم، فلم يرأفوا في إنسان إلا ولا رحمة، فديدن اليهود السحق والنفي وطمس هوية المدينة
لا احترام الآخرين وتقديرهم، فيقول الشاعر (أبو عرب) في موشح له بعنوان "كل ما تتادي يا
بلادي" (يعاقبه، 2013: 79):

كرمـال الأرض الخـضرة كرمـال الغـور
مهد عيسى والصخرة وجبـل طـابور
سيري بـدرك يا ثوره شـعبك منصـور
ت تعود بـلادي حـره ومجمـع أديـان

يوحد الألم البشري أمم الإنسانية ودياناتها العادلة، التي تنظر للأخر نظرة تقدير واحترام، لا
سحق ونفي وطرد وإقصاء كما الصهيونية العالمية ولوبها المتنفذ، وقال في أغنية له بعنوان: "تم يا
حبيبي" (يعاقبه، 2013: 89):

مهما ذبحتو بشعبنا يا مجرمين دمه ان جرى ع الأرض برسم فلسطين
ل زرع شلاني في ضم أرضي حنين زهرات ثوريه وبكره بيطلعو
وسمعت (مريم) صوتها هدو النحيب نادتي (عيسى) يا شعب قدسي الحبيب

م الفايده من بذل دمك ع الصليب
بصبر على الأيام مع جور الزمان
لو بقى منا طفل وحدوب المدان
ما دام عنا وحوش هيك بيصنعو
وبراهن الأيام بخاف الرهان
لا بد حقي المغتصب يسترجعو

انتقاد السياسة العربية تجاه القدس، ولوم القواد والولاة والحكام العرب الذين خذلوا القدس
وعدم مناصرتهم لها بصورة حقيقية، ويذكرهم بمعارك العرب والمسلمين، فالنصر لا يكون إلا تحت
ظلال السيوف، لا العبارات الجوفاء والكلمات الرنانة التي لا يتعدى صداها المجلس المعقود،
وقال (يعاقبه، 2013: 94):

ولما بنطلب دعم فالدعم بالأقوال
يا ناس حاجي دجل ما عاد يمشي الحال
بدنا فعال ودعم والقول فعل رجال
نعطي ال عهد ل(كرامه) بقولنا وفعال
ما يهدي بال الخصم ما يهدي إلنا بال
واحدهم يظن بالتصريح بيواسينا
تصريح أو مؤتمر ما عاد يكفيننا
تحمي بطولاتنا وتحمي بواديننا
ول لقادسية عهد مع أرض (حطينا)
ت نعيد أرض القدس مهد النبيينا

وقال متمسكاً بالقدس ومحافظاً على مكانتها في ظل موجات التقريط والمساومة(يعاقبه،
2013: 103):

الغير باع الوطن بالمال والدولار
عمق الإحساس الوجداني بقضية القدس، فهي تعادل الروح، إنه التضحية والفداء من أجل
القدس الشريف، تلك المعاني النبيلة التي نلمسها في خطاب الغناء الفلسطيني الثوري، فقال أبو
عرب في أغنية له "فدائي يودع أخته قبل العملية"(يعاقبه، 2013: 105):

نداء الوطن حلفني يميني
قسم ما عاد يغمض جفن عيني
ب روعي أرض قدسي بفتديها
وشوف اعداءنا بتجول فيها
ذكر المناسبات الدينية وربطها بقضية القدس في الغناء الثوري، فقال في أغنية له بعنوان:
لوعة"(يعاقبه، 2013: 107):

امي حزينه دموعها أرقام
أرقام تحكي بعد نكبتنا

تحكي عن المعراج يا إسلام عن مهد عيسى وعن كنيسةنا
الصمود والتحدي الأسطوري والثبات على هذه الأرض؛ لأن عليها ما يستحق الحياة،
فالعابرون لا بد أن ينجلوا طال الزمان أم قصر، فبشرى النصر لأبناء الشعب الفلسطيني وسيكون
حليفهم، هذا ما تجسده العقيدة الشعبية الثورية المؤمنة بنهج الأحرار الأبطال، فقال في أغنية له
بعنوان: "يا بلادي أبشري" (يعاقبه، 2013: 112):

بلغوا المعراج مع مهد المسيح مستحيل نذل ونركع مستحيل
وصف حال الأمة العربية والإسلامية، ورضوخ القدس تحت وطأة الاحتلال، فقال أبو عرب (يعاقبه،
2013: 259):

لفت طيارك أسود (عملها) وفلسطين ما أعطت (عملها)
القدس مجروحه بتنادي (على امها) العروبة وما حدا لبي الجواب
يستعرض الشاعر بغنائه الواقع المرير الذي تمر به الأمة، وعجزها عن حماية مقدساتها،
تلك حالات حرجة وأوقات عصيبة تمر على القدس وسكانها الذين يعانون الأمرين، والأعراب
ساهون لاهون لا يحركون ساكناً.

بذل الدماء في سبيل رفعة الوطن وتحرير القدس، فكس المحتل وطريق الانتصار عليه
ليس مفروشة بالورود، إنما الأمر يحتاج لعزيمة وقوة رادعة بإمكانها دحر المحتل وكسر جبروته
ومواجهة صلفه، فقال في أغنية "وصية لعدائي" (يعاقبه، 2013: 114):

دعنا نفجرها دما نبل الأديم تا أرض قدسي ترتوي بأشرف ورود
تنبؤا القدس مكانة عظيمة في الوجدان الشعبي، لذا نجد أن الأحرار هبوا لنصرتها وذاذوا
عن حياضها بكل ما يملكون من وسائل وأدوات، فقال في موال عتابا "يا هلا ب النشامي (لحن
بردي)" (يعاقبه، 2013: 118):

إذا بساح القتال قضيت (نحبي) ع قيري أرسما قدس العرب
صبرت على الوطن والصبر (طلوا) وبنظر ل عشبات الندى (طلوا)
ابشري يا قدس هالثوار (طلوا) نشامي ولفدا لُبو الطالب

يبشر الشاعر بغناؤه القدس بأن الظلام سينجلي، بقدم الثوار الأبطال الذين لبوا النداء،
وجادوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل تحرير القدس وكس المحتل الغاصب.

السير على نهج الأحرار لتحرير القدس والعودة لروايبها، وفض البعد عنها تحت أي ذريعة
من الذرائع، وهذا يدل على مدى التمسك بالقدس والحفاظ عليها أمام التغيرات التاريخية في
العصر الحديث، فيقول أبو عرب في أغنيته "درب الثوار" (يعاقبه، 2013: 176-177):

| | |
|---|---|
| شـــــــــــــــــعبي جـــــــــــــــــار | م يهــــــــــــــــاب المنيـــــــــــــــــه |
| صــــــــــــــــوته مــــــــــــــــن بــــــــــــــــيد | ل الثــــــــــــــــوار حيــــــــــــــــاني |
| (غــــــــــــــــزة) بتــــــــــــــــصيح | يا (عــــــــــــــــكا) لاقيني |
| (رام الله) (البيــــــــــــــــره) | بتحــــــــــــــــيي (جنــــــــــــــــين) |
| (يا فــــــــــــــــا) بتــــــــــــــــول | ل(قدــــــــــــــــسي) حنــــــــــــــــيي |
| مــــــــــــــــاطيق البــــــــــــــــعد | ســــــــــــــــاعا عــــــــــــــــن إــــــــــــــــواني |

مجابهة الطغاة الظالمين ومن حطه رحله في ركابهم، فيصبر الأحرار والثوار ويقدمون
التضحيات العظام، حتى يُكتب لهم النصر والتمكين، ولن تذهب جهودهم سدى في مقارعتهم
للمحتل وسينصفهم التاريخ في أزماته المتعاقبة، وهذا دين الثوار والمناضلين الأحرار، فقال مخاطباً
القدس (يعاقبه، 2013: 250):

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| يا قدس لا تحزني ويا أقصى نادينا | تلقى ارجالك بحر هدار ع المينا |
| خمسين عام انقضت ما كلت إيدنا | لو عا بعض الخون ولتاجروا بيا |
| يشهد علينا الوطن والقدس وترابو | م نهاب غدر الخون لو كشر نيابو |
| مهما يدور الزمان لو كشر نيابو | نتخطا كل المحن ع دروب الحيره |

تمثل القدس عقدة الصراع وجذوته، فلا تغريط ولا تنازل عنها فهي جزء لا يتجزأ من أرض
فلسطين، فهي عنوان العزة والكرامة ورمز الفخار، وهي أيقونة الثورة ومبتغى الثوار، ذلك المعلم
النفيس الذي نزل في قرار مكين من نفوس الثوار الأحرار والمكافحين الشرفاء الذين نافحوا عن ثرى
أوطانهم بدمائهم الطاهرة، فقال في أغنيته "يا قدس إنت الأمل" على لحن أبو الزلف (يعاقبه، 2013:
232):

يا قدس إنت الأمل عنوان عزتنا
بصوت شعبي البطل بصوت أمتنا
ي نجوم يل بالسما ل بلاد حبيها
ب قلوبنا والدماء ول القدس نفديها
يا ناس قلبي انفجر والشوق غازينا
كلما يهل القمر نور بوادينا
صوت ل قلبي وصل حرك كرامتنا
بتظل طول الأزل حرا عربيا
زوزي ديار الحمى حيي روابيها
حباب قلبي نما آيات سحريا
كل ما يموج البحر كنوب ينادينا
تعرفنا كل البشر عشاق حريا

يُلاحظ أن الصرخات الشعرية والدفقات الشعورية التي أطلقها (أبو عرب)، هي من المحركات الرئيسية التي مثلتها القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية؛ لأن الأغنية نابعة من إيمان الشعب وتصور حياته، فهو يتفاعل معها بصورة عفوية (كناعنة، 2011: 116)، فشكلت-هذه الدفقات- معادلاً موضوعياً استطاع الشاعر من خلاله أن يشحن الصور والأساليب والألفاظ والتراكيب؛ لبيث فيها الدوال والدلالات والمعاني التي يسعى إلى إيصالها من خلال سبك الخطاب الغنائي في أبنية النصوص وتراكيبها ولحن ألفاظها وإلقائها وإنشادها أمام الجمهور؛ كل ذلك وفر بيئة حميدة متفاعلة استطاع المتلقي أن يتشرب معاني الجنس الغنائي خصوصاً في ظل تنوع القوالب اللحنية، وهذا أسدل على النص الغنائي حيوية حقيقية جعلت المتلقي يدخل النص من أوسع أبوابه ويفهم معاني موضوعاته ويعيد خلقه من جديد، مشكلاً رؤية فنية حول المنجز النصي في الخطاب الغنائي المتفاعل، كيف لا؟، والأغنية الفلسطينية ألهمت المشاعر والأحاسيس في ساحات الانتفاضات وميادين الاشتباك والتصادم مع العدو الغاشم في محاور التماس وتأجيج الجماهير الحرة وإيقاظ شعورها وإثارة نخوتها، وكل ما سبق يمثل محوراً موضوعياً هاماً يجسد بأدواته وألوانه وأساليبه تيار الرفض والتمرد الذي تعبر عن الفلسفة الثورية لدى أبناء الشعب الفلسطيني الذي تجرع الويلات والآهات والأنات.

المبحث الآخر: لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب) - مقاربات تحليلية.

إن كلّ شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرها في كلامه" (الجاحظ، 1424: 174/3)، ويمثل النص في الموروث الشعبي قيماً دلالية مركزة في ثنايا أبنية الخطاب الغنائي المتموج، ويبرز ذلك جلياً في الغناء الثوري الهادر، المشحون نفسياً ووجدانياً واجتماعياً، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطموحات الشعب وآماله في تحقيق ما يصبو إليه، ومن الملفت للنظر نجد أن الشعر الشعبي ونصوصه جاءت لغته شعرية منسجمة ومتوافقة مع الحالة الشعورية التي يترجمها الشاعر بغنائه لشعره، وهذا يجسد الصدق الفني الذي عبر عنه ابن طبابا العلوي؛ بقوله: "إذا أيدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها" (العلوي، د.ت: 24)، ونستطيع لمس ذلك بشكل واضح في الأغنية الشعبية وتعبيرها المتنوعة في ثنايا سياقاتها، وذلك الكشف عن جماليات لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب)، التي يمكن بيانها من خلال الحديث عن القضايا والموضوعات التشكيلية العامة التي تتمثل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المعنى الإيحائي للأصوات في السياق الغنائي.

إنّ الاستخدام الأمثل للقيمة التعبيرية للأصوات وانسجامها مع الدفقات الغنائية التي تجسد عمق الحس الثوري تجاه قضية القدس، وقوة فاعليته في ظل الخذلان والهزيمة والعار، يأبى الشاعر الاستسلام ويؤمن بمواصلة طريق الثورة والثوار، فقال أغنيته موال عتابا (بعاقبه، 2013: 257):

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| ألا يا قدس والدمعات (هامو) | وأهلي في فيافي الأرض (هامو) |
| فدائي وع تحرير القدس (أقسم) | رهن دمو ل تحرير ل تراب |
| عطشان قلبي وع الوطن قاصد(ورود) | اسقيت من دمي أنا أشرف (ورود) |
| يا فدائي صول ع أرضك (ورود) | والموت عزّي والمذلة تعيينا |

نلاحظ أن معظم الأصوات المستخدمة في ثنايا النص هي أصوات انفجارية رنانة اتسمت بالوضوح الصوتي؛ مثل: (أ- ق- د- ع- ت- هـ)، تدل على تجسيد المقاومة وعمق الإيمان بالثورة التي تحرر البلاد من دنس الطغاة الحاقدين، ووظف الشاعر في غنائه الأصوات التكرارية؛

مثل: (ر - ل - ن)، التي تدل على عظم المآسي وتكرارها في حياة الشعب الفلسطيني ، وضرورة الثورة من أجل الحرية والاستقلال، ووظف الأصوات الصفيرية؛ مثل: (ص-س-ز)، ليعبر عما تجيش به نفسه من معانٍ ودلالات ترتبط بصورة أو بأخرى بالرفض والثورة والتمرد ضد من يحتل القدس، ويلحق الأذى بفلسطين.

المطلب الثاني: شعرية اللغة في الخطاب الغنائي.

شعرية اللغة وإيحائية الألفاظ، فاللغة حقيقة اجتماعية تعبر عن حاجات الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، فلا غرابة أن نجد انسجاماً بين المكنون والملفوظ، الذي يجسد الصدق الفني في إنجاز الفعل الكلامي والكشف عن مدلولاته الخارجية التي تُلامس أرواق الواقع، فقال في موال يرثي فيه الشيخ أحمد ياسين (يعاقبه، 2013: 254):

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| على السفينه اللي انفقد ربانها | والقدس تبكي من ألم أحزانها |
| والشيخ أحمد يا رمز القيادة | عبد العزيز البطل من وجدانها |
| تسهل وتتحب ع موت الأسود | والخيل تصهب والبيارق سود |
| ب أبطال أمنيتهال الاستشهاد | جودي يا قدس بالضحايا جودي |

إن خسارة القادة من أبناء الشعب بغض النظر عن توجهاتهم، هي خسارة قومية للشعب نفسه، ولعل شاعرنا في غنائه عبر عن الحس الثوري في رثائه للقادة بلغة شعرية معبرة وألفاظ ذات دلالات موحية، فنجد أن الألفاظ تتسجم مع الموقف وتتناسب معه وهذا يعبر عن صدق المشاعر والأحاسيس، فلفظة: (تبكي - ألم - أحزانها - انفقد - وجدانها - تصهب - تسهل - تتحب)، كلها ألفاظ شعرية شعورية تتم عن عمق الألم والإحساس بقيمة الثورة وقوادها.

المطلب الثالث: تقنية التكرار.

استخدم الشاعر التكرار، الذي يحمل دلالات متنوعة أودعها في أبنية النصوص وكلماتها، فوظفه الشاعر في كلامه "تأكيداً له، وتشبيهاً من أمره" (ابن الأثير، 1420: 147/2)، فقال في موال عتاباً ضمن أغنيته "ل جلك يا أرض بلادي" (يعاقبه، 2013: 164):

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| ركبو خيولهم بالليل (عدو) | نشامى وعلى جسر الردى (عدو) |
|--------------------------|----------------------------|

واللي ما يضحى اليوم (عدو) برى منو قدسنا والعرب
ويدلل التكرار على تأكيد أمر الانتصار وقوة الفعل الثوري ضد المحتل الغازي، رسم الثوار
طريق الحرية بفعلهم وصدق أقوالهم، وقال أيضاً (يعاقبه، 2013: 222):

في مسرى طه في مسرى طه
روحى مناها روحى مناها
في ساعة موتى في ساعة موتى
شيلوا تابوتى شيلوا تابوتى
مهد عيسى المسيح في مسرى طه
فيها يكون الضريح روحى مناها
وانا بأرض باريس في ساعة موتى
إلى القدس العريزة شلوا تابوتى
إنها نبرات الحزن في الدرج الموسيقي التي حملها التكرار؛ ليؤكد المكانة الوجدانية في
الحس الشعوري عند أبناء الشعب الفلسطيني، يُلاحظ صوت الألم في الدفقات الشعورية المتدفقة من
ثنايا هذا الغناء الإنساني الذي يعبر عن مأساة شعب، يرتبط وجدانه بقضيته ومقدسات أرضه.

المطلب الرابع: التناص.

يعد التناص من الروافد التاريخية التي تبين المرجعية الأصيلة التي تتبع منها القيم الشعبية
والمعلوماتية في العالم العربي، وقال في أغنيته: "يا عاشق النوح" (يعاقبه، 2013: 140):

يا عاشق النوح إسمع لوعة الوجدان
شاعر كفر بالغزل والقد والأجفان
شاعر اهيب ودمي والنوح ألحانو
ون ردت عن شاعرك إسمو أبو العريان
قدس ترابو مثل تقديس قرآنو
شعرو حنين النبي وع صخرتو حزنان
إسمو عربيه وأخذ الثار عنوانو
عا مهد عيسى وعلى إجرام عدوانو

لقد حوت هذه الأغنية على "تناصات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة حتمية اندماج
المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر تم تسربه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو
الأسلوب أو الرؤية" (الزعيبي، 2000: 153)، التي تمثلت في ذكره لأغراض الشعر ومصطلحاته،
ورؤيته لواقع مدينة القدس وتصويره لها، كل هذا أسهم في بلورة مرجعية تراثية وثقافية، كل ذلك
أضفى على النص الغنائي هالات مرجعية يمكن من خلالها استقراء الحاضر من خبرات الماضي،
وهذا ركن يرتبط بجماليات النص الغنائي وأصاله هويته في ظل التقلبات الحضارية التي دبت أرجاء
المجتمعات والشعوب.

واستدعاء الشخصيات التراثية في قضية القدس؛ لأنها شخصيات معبرة عن ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها التأثير على الشعراء في كل عصر، وكونها أياً أكثر طواعية للشاعر المعاصر، والأقدر على استيعاب تجربته المختلفة(زايد، 1997: 138)، فقال في أغنيته: "يا قدس قومي زغردي"(يعاقبه، 2013: 156):

يا قدس قومي زغردي راجع صلاح الدين
ورجال من يعبد أجواي رفاق عز الدين
عدوا على مسرى الشرف مرقوا على حطين
كل ما نادت فلسطين رجال المخلصين
من عياش ومحبي الدين والشقاقي وأمثالو
حي الله رجال والطن كل واحد ب إسمو

نلاحظ توظيف الشخصيات التاريخية التي لها مكانتها ودلالاتها في ثنايا النص الغنائي، فهذه الشخصيات لها رمزيته في الخطاب الموجهة للجماهير الشعبية، فنجد شخصية:(صلاح الدين، عز الدين، عياش، محبي الدين، الشقاقي)، كلها شخصيات جهادية مقاومة، قارعت المحتل وألحقت الهزائم به، ونستشف من إجراء التناص واستدعاء الشخصيات التراثية، بأن ذلك خير برهان على صدق النوايا الشعبية وإيفائها لقضية القدس، وتصديق ما يذهب إليه الشاعر حيث" يرغب الشاعر المسلم بكل ما هو مقدس، وهذا يجعل المبدع يحرص على الهيمنة، فحضوره ليس لمجرد إغناء النص بطاقاته فحسب بل لكونه عالماً في ذهن المتلقي، مما ينتج عن استثماره من وظيفة مزدوجة: روحية، وفنية"(أبو علي، 2001: 116).

المطلب الخامس: توظيف الترادف.

توظيف الترادف في بيان صورة القدس، أسهم في إثراء دلالة النص الغنائي، واستهواء المتلقي، فقال في حذاء حروبي بعنوان "وتزنبوب سلاحكم"(يعاقبه، 2013: 121):

يا مهد عيسى والنَّبِي
معراج طه اليعربي
حدث الترادف بين مهد عيسى ومعراج طه هي القدس، وهذا يدل على امتزاج الأديان وعلى العادات الإنسانية الراقية المبنية على التسامح والتعايش السلمي في ظل التوترات، فالعقلية الشعبية الفلسطينية ووجدانها تمتاز بقيم إنسانية خالدة، ولكن قساوة المحتل وجبروته انعكس على

سلوكيات الكل الفلسطيني، فجاهه تصرفات العدو المحتل بكل أدوات المقاومة التي تمتلكها المجتمعات البشرية، مع الحفاظ على القدس باعتبارها رمز كيانه وعنوان حضارته العامرة.

المطلب السادس: استخدام الحوار الدرامي وإضفاء روح الحياة على الماديات.

إجراء حوار مع القدس وملتقاتها، وإضفاء روح الحياة عليها من الميزات الأساسية في الفن والأدب الفلسطيني، ويجسد ذلك مدى حب القدس وعظم مكانتها في نفوس أبنائها في المجتمع الفلسطيني، فقال في أغنيته "تعي في العيد" (يعاقبه، 2013: 159):

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| تعي في العيد (عذرا) وعايدينا | وعن المه المضرج إسألينا |
| اسألينا المهدي كيف ايروح منّا | ومن حقك ي (عذرا) تعاتبينا |
| اسألينا ع القدس زهرة وطننا | مع المعراج مع صخرة نبينا |
| ي(عذرا) دم إبنك صار حنا | ت يسير عا كفوف المجرمينا |
| ي (عذرا) اللي صلب عيسى ظلمنا | مثل ما صار ب ابنك صار بينا |
| شوفي اطفالنا وشوفي | ب خيام وبرد وحننا صابرينا |

وقال أيضاً:

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| حملنا جروح عيسى مع المننا | حننا اولاً قدسك باركيننا |
|---------------------------|--------------------------|

نلاحظ مدى تفاعل الشاعر بغنائه مع القدس ومخاطبته لرموزها، فالحوار أسدل على النص بنية تفاعلية استطاع الشاعر أن يقربها لنا من خلال فتح قنوات حوارية بينه وبين متعلقات القدس، وفي ذلك إحياء على حب القدس ودلالة على التضحية والفداء من أجلها، في ظل موجات الاحتلال وجبروته وعدوانه الغاشم.

وإضفاء الحياة على القدس واستنطاق جوامدها، في رسم الصورة الغنائية للقدس، وتوظيف اللغة المجازية التي تحمل في طياتها روح التمرد والرفض، لاستنهاض الهمم وإيقاظ شعور الأمة لنصرة القدس ومؤازرة أهلها في ظل شراسة العدوان، فقال في أغنيته (ي مفاريقين الحمى) (يعاقبه، 2013: 26):

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| اسمعوا صوت القدس ستتجد الأحرار | والقدس نادى على الثوار تحميها |
|--------------------------------|-------------------------------|

الصخرة تشكي الظلم من سطوة الفجار والعذرا تبكي المهدي والمهد بيكيها
صاح الفدائي بصوت زلزل الأشرار بالروح بالدم ل فلسطين نفديها
وقال في أغنيته "تيهي ي أرض" (يعاقبه، 2013: 128):

غير المدافع ما بيظربنا حدا رشاشنا يحكي شرف غايتنا
كبّر الأقصى وهللنا محمداً عيسى ومريم باركوا خطوتنا

نلاحظ أن القدس تجسد بصور بيانية توحى بحال القدس وأوضاعها التي تمر بها، وأراد الشاعر بذلك أن يشحن أغانيه بتجسيديات تعبر عما يجيش بنفسه، وهذا ينعكس على نفسية المتلقي، ويبين مدى صدق العاطفة الوطنية والقومية التي يكتنزها الشاعر في ألفاظه وقوالبه اللحنية وعباراته وصوره التجسيدية، فأبرز (أبو عرب) التفكير الحسي داخل الصورة الشعرية من خلال أحاسيسه ومشاعره، وهذا التفكير كما هو معروف ينبئ وراء الصورة الكثير من الدلالات، ويكشف عن الأحاسيس والمشاعر من خلال التفاعل لإبراز الفكرة التي انصهر فيها وغلفها بالواقع المر والأليم، إن المشهد الخارجي الذي اتضح من صور التحدي والرفض ومن خلال الأرض لم يكن يظهر على أرض الواقع إلا لكونه موجوداً في نفس الشاعر نتيجة انعكاس الواقع، وهذا بطبيعة الحال يبرز التفاعل القائم بين ما هو خارج النفس وبين ما هو موجود في النفس (الأغا، 1998: 203/2).

المطلب السابع: الأساليب الإنشائية.

استخدام أسلوب التوكيد، يبرز في مدلولاته مكانة القدس في قلب الشعور الجمعي لأبناء المجتمع الفلسطيني، فقال الشاعر (يعاقبه، 2013: 26):

إنني ي قدسي هنا ثابت ع خط النار ودموع(مريم) أنا وجروح فاديها
يؤكد الشاعر من خلال استخدامه لحرف التوكيد على ثباته وصموده على ثرى القدس الحبيبة، ويبرز جهوزيته للفداء في سبيل تخليصها من الظلم وتحريرها من الطغيان الصهيوني.

واستخدم الشاعر في لغته الغنائية أسلوب القسم؛ يشعرا بمكانة المقسم به وعظمه في نفس الشاعر الذي يعبر عن القواعد الشعبية التي تمثل إحدى أطراف العملية الفنية والإبداعية في الأدب الشعبي، فقال (يعاقبه، 2013: 26):

أقسم بأرض القدس مع تربة الأغوار
أقسمت بالمقسمين يكملوا المشوار
ل عمل عظامي جسر تا يعبروا الثوار
عاداتنا تأنف العيشه ب مذلة و عار
حي العروبة وحيي معشر الثوار
م ترك بلادي وما بنسى روابيها
ويحرروا بلادنا وتضحك ليايها
ويحرروا قدسنا وترجع أهاليها
وأطفالنا من نجيع الدم نسقيها
في شرق موطن عرب قاصي ودانيها

إن القسم بمثابة جملة يؤكد بها جملة أخرى (أبو حيان، 1998: 1463/4)، توحى بالإيمان الصادق الذي تكتنزه النفس الجماهيرية في الأغنية الشعبية، وكيف إذا كان ذلك متعلق بالقضية المركزية لأبناء فلسطين.

المطلب الثامن: الجناس.

توظيف الجناس في تعبيره عن القدس، وأد جرساً موسيقياً على مستوى اللفظ، وزاد المعنى دقة ووضوحاً، فقال (يعاقبه، 2013: 57):

الناس بعيد وبفرحا (ونا بعيد) البطولة وعهد ل قدس العرب
وقع الجناس بين لفظتي (بعيد، بعيد)، فمعنى اللفظة الأولى العيد الحقيقي الذي يفرح به الناس، أم لفظة (بعيد) الثانية فهي عيد من نوعه الخاص فيه تمجيد للبطولة والتضحية والفداء، عيد الشهداء والجرحي والأسرى، تلك هي خصوصية الغناء الشعبي الفلسطيني الذي يجسد آهات الشعب ومعاناته من جراء العدوان الغاشم وما تسبب به من تهتكات في النسيج الاجتماعي الفلسطيني، ولعل هذا الجناس على مستوى الألفاظ مرتبط بالمعاني التي أودعها الشاعر في خطابه الغنائي.

المطلب التاسع: المعجم الشعري حول القدس.

استخدام معجم متعلق بالقدس وقضاياها، تعج ذاكرة شاعرنا في أغانيه الشعبي بمعجم زاخر بمعانٍ ودلالات تبرز قضية القدس وتوضح معالمها، فهو يمثل "مجموعة ألفاظ متكررة أو مرادفات لها تؤدي إلى نفس المعنى أو حتى تراكيب معينة تؤدي إلى مصب واحد في المعنى أو تجانبه وتقاربه" (مفتاح، 1986: 58)، فنستطيع بيان الألفاظ التي وردت بكثرة عنده حديثه عن قضية القدس، وتم ورود هذه الألفاظ في ثنايا النماذج الشعرية التي سقناها، وهي: (القدس، مسرى النبي، قدس الخليل، قدس العرب، الأقصى، قدسنا، قدسي، أرض القدس، صوت الأقصى، مهد المسيح،

مهد عيسى، الصخرة، قدس الحبيب، مهد النبيينا، عز القدس، لأجل القدس، أرض قدسي، المعراج، يا قدس، تحرير القدس، مسرى طه، مسرى الشرف، معراج طه، صخرة نبيينا، قدسك، صوت القدس، صرخة أقصى)، ومثل هذا المعجم ارتباطات دلالية متنوعة، تجسد مدى حب المبدع للقدس وإيمانه العميق بضرورة تحريرها وكس المحتل الغاصب عنها.

لقد شكلت القدس بؤرة دلالية ذات معاني مفتحة في ثنايا نصوص الخطاب، مما أسهم في تشكيل رؤية واضحة للبنية النصية المطروحة التي تحوي في طياتها قضايا تتعلق بالقدس وحال الأمة العربية والإسلامية(دراوشة، 2016: 588)، وهذا يدل على عمق الانتماء الحقيقي لقضية القدس.

المطلب العاشر: التنوع الموسيقي في استحضار قضية القدس.

التنوع الموسيقي في الأدراج الغنائية في سياق التعبير عن القدس ومترقاتها، فيمتاز الشعر عند العامة بالغناء، فتطرب إليه آذانهم وتستهويه قلوبهم، ولعل أهل الشام -خاصة- أولعوا بغناء الشعر(الرافعي، د.ت: 112/2)، والناظر لتاريخ الشعر العربي يجد أن الغناء هو المضممار الرصين؛ لتوصيل رسالة الشعر وإبلاغها والتأثير في المتلقين، فشعراء العربية الأوائل أطلقوا عنان أنفسهم في التعبير بالبوح بأسرار قلوبهم من خلال التلغني بالشعر وأداء موسيقاه بما يتوافق مع الذوق السليم، فهو يُلقى على سجيته، دون تكلف وصنعة، فقال شاعر الرسول(ابن رشيق، 1981: 313/2):

تَعَنَّ بالشعر إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنْ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مَضْمَارُ

فالغناء كان أساس تعلم الشعر عندهم(ضيف، د.ت: 189)، وعرف الأدب العرب ضروباً متنوعة من الغناء، والأغنية الشعبية الفلسطينية جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأدب العربي، لما تمثله من معانٍ ودلالات قومية وتاريخية في ظل وجود ساحة صراع وتحدي، يسعى الصهاينة إلى طمس الآخر ونفيه وسحقه بكل ما يمتلكون من أدوات السحق والنفي، ولعل ما يهمننا في هذا المضممار التعرف على القوالب اللحنية التي استطاع أن يوظفها الشاعر في غنائه حول قضية القدس، فهو شكل قوالبه اللحنية وتقنياتها، ونجد أنه نوع في استخدامه لها وتوظيفها في بنية الخطاب الغنائي

المتعلق بقضية القدس ومن أمثلة ذلك قوله في لحن قرادي له في أغنيته "ي هل الضفة الغربية" (يعاقبه، 2013: 136):

م حلى قدسى وم جملها أ الله بلطفه كملها
وقال في أزوجة مسير فدائي له ضمن أغنيته "ي لله يمي ع الزيتونه" (يعاقبه، 2013: 137):

يمه قدسى بتتاديني (برقه) ومعها (دير ياسين)
هاتي المدفع والمرتيني يمه اخواني بستتوني
وقال في موال عتابا ضمن أغنية له بعنوان: "غنيلي يا حادي" (يعاقبه، 2013: 142):

لو طالبت غربتتا راجع يا ديرتتا
أحلى فرحه وأجمل عرس لما بدنا نعيد القدس
بزنوك ثورتتا بزنوك ثورتتا
وقال في مواله "هدو الخيام-شدو الشراع" (يعاقبه، 2013: 181-182):

حيك ي شعبي البطل يبذل دماك وجود والصخر غنى وصار الحجر موالو
أعطي ل كل البشر عزه وإبا وزنود خلي القدس يفتخر ب عزة رجالو
وقال فيه أيضاً:

يا قاصدين الوطن ع الغيم مسراكم بيكون ع أرض القدس يا طيب ملقاكم
قال في لازمة له من موال "ب اسم المولى هللنا" (يعاقبه، 2013: 187):

ل جل القدس وحرمننا بالعبوات تحزمننا
صرخة أقصى لبيها ولعيونك يا موطننا
وقال في أغنيته "دلعونا" (يعاقبه، 2013: 188):

والظلم سايد والعدل غايب وين العروبة يارب العونا
من (بيت ساحو) ومن (بيت نابالا) (بلاطة) و(عسكر) حيلي رجالا
ل دهيشه بتتخى ل جلزوانا (شجاعة) و(عزة) (القدس) وقبالا

كل ما سبق من قوالب لحنية مثل أدراج موسيقية أغنت التجربة الفنية للشاعر في أغانيه، وأمدها بهمسات شاعرة تناسبت مع المقام الذي طُرحت فيه، فنجد الشدة والرخاوة والتكرار، كل ذلك أسهمت في ضبط ذبذبات النفس الغنائي وزيادة تأثيراته في نفس المتلقي، فلا غرابة أن نجد أن الأغنية الشعبية لها تأثيرها النفسي العميق في الوجدان الجمعي لأبناء الشعوب، هذا ما وددت الإشارة إليه من خلال هذا البحث العلمي الجاد، وحسي أي استجليت معالم القدس في الأغنية الشعبية من خلال أغاني (أبو عرب) الشاعر الثوري المرموق، الذي سطر بكلماته العنقوانية البسيطة في مقامها العظيمة في مدلولها، مرتكزات القضية وثوابتها الرئيسية.

النتائج والتوصيات

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولاً: النتائج.

1. شكلت القدس معادلاً موضوعياً بارزاً في الأغنية الشعبية الفلسطينية، مما يوحي بالمكانة التي احتلتها القدس في الوجدان الجماهيري والضمير الجمعي عند أبناء المجتمع الفلسطيني.
2. برزت صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية على أنها أحد الثوابت الوطنية التي لا يمكن التفريط بها تحت أي ظرف من الظروف.
3. تميزت بنية الخطاب الغنائي في قضية القدس بالمقصدية الواضحة في نقل المشاعر والأحاسيس الثورية النابعة من تيار التمرد والرفض ضد ما يفتعله الطغاة المحتلين وأعدائهم.
4. ارتباط القدس في الأغنية الشعبية بالثوابت الوطنية عند أبناء الشعب الفلسطيني، والحث على استردادها واستنهاض الهمم من أجلها، ورفض الذل والخنا، والتمسك بنهج الثورة من أجل حرية القدس.
5. تنوعت نسقيات الأدراج الموسيقية ومقامات ألقانها في مضامين قضية القدس عند أبي عرب، مما أنتج بنية موسيقية متفاعلة، أثرت على جمهور المتلقين.
6. مركزية الدلالة في الغناء الشعبي الفلسطيني، خصوصاً في قضية القدس، مما جعل النصوص تحوي في طياتها معاني ودلالات متنوعة؛ تشي بعمق التمسك بالقدس وعدم التنازل عنها.

ثانياً: التوصيات.

1. نشر التراث الشعبي والاهتمام به، وطباعته بحلة قشبية تتماشى مع طبيعة المستحدثات.
2. تبني الإبداع الشعبي الفلسطيني، وتشجيع البحث والدراسات المختصة في مجالاته.

فهرس المصادر والمراجع

1. إبراهيم، نبيلة(د.ت): أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة.
2. ابن الأثير، نصر الله(د.ت): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
3. إسماعيل، محمود(2008): المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة.
4. الأغا، يحيى(1998): إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الحكمة، ط1، خانيونس.
5. برزوي، باسل(د.ت): الشعر الشعبي والواقع الموضوعي، مجلة التراث والمجتمع، ع37.
6. الجاحظ، عمرو(1424): الحيوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت.
7. أبو حيان، محمد(1998): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة.
8. دراوشة، حسين(2016): ثقافة تحرير القدس وإنتاجية دلالاتها في بنية الخطاب الشعري المقاوم - ديوان العصف المأكول أنموذجاً، مؤسسة القدس الدولية، فلسطين.
9. دراوشة، حسين(2017): اللغة الشاعرة وجماليات دلالاتها في ديوان غزة ريحانة القلب للشاعر محمود مفلح، الرابطة الأدبية ومؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، غزة.
10. الرافي، مصطفى(د.ت): تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، القاهرة.
11. ابن رشيق، الحسن(1981): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت.
12. زايد، علي عشري(1997): استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي القديم، دار الفكر العربي، القاهرة.
13. الزعبي، أحمد(2000): التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط1، عمان.
14. ضيف، شوقي(د.ت): تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة.
15. أبو عرب، موسوعة ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>

16. العلوي، ابن طبابا(د.ت): عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
17. أبو علي، نبيل(2001): في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد، ط1، غزة.
18. كناعنة، شريف(2011): دراسات في الثقافة والتراث والهوية، منشورات المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله.
19. مفتاح، محمد(1986م): تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، ط2، المغرب.
20. نصار، حسين(1980): الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، ط2، بيروت.
21. يعاقبه، نجيب(2013): حذاء وأغاني الثوار شاعر الثورة الفلسطينية إبراهيم صالح "أبو عرب"، بيت الشعر وزارة الثقافة ، فلسطين.